محاضرة رقم 2

المحور الأول: التعريف ومراحل التطور

- تعرف المجتمع الدولي:

هو "مجموعة الكيانات السياسية الدولية المستقلة التي تخضع فيما بينها إلى القانون الدولي، حيث ينقسم إلى أشخاص تتمتع بالشخصية القانونية الدولية وهي الدول والمنظمات الدولية الحكومية، وأشخاص أخرى لا تتمتع بهذه الصفة وهي المنظمات الدولية غير الحكومية، الحركات الوطنية التحررية، اللجان الوطنية والمتحاربين المعترف بهم وغيرها من الكيانات السياسية الدولية المستقلة".

- **التمييز بين المجتمع الدولي وبعض المصطلحات المشابهة له:**

أ- **العلاقات الدولية:** هي مجموعة الصلات والتفاعلات التي تحدث عبر الحدود الدولية بين أشخاص المجتمع الدولي، وتأخذ أشكال مختلفة منها: التعاون، النزاع، التحالف.

ب- **القانون الدولي:** هو مجموعة القواعد القانونية التي تنظم سير العلاقات بين أشخاص المجتمع الدولي.

ت- التنظيم الدولي: هو الهيكل الذي ينتظم في إطاره أشخاص المجتمع الدولي، ويخضع للمعيار الوظيفي والعضو، فهو يهتم مثلا بأشكال المنظمات الدولية وأنواع التحالف.

ث- الجماعة الدولية: مجموعة من الوحدات السياسية المستقلة تشكل جماعة تقوم على روابط أساسية حقيقية بين هذه الوحدات، وتستند إلى إرادة طوعية مشتركة.

ويختلف المجتمع الدولي عن الجماعة الدولية في نقطتين أساسيتين:

- الجماعة الدولية تنشأ بين وحدات متناسقة (فنجد أعضاء الجماعة الدولية كلها دول أو كلها منظمات دولية مثلا)، في حين أن أعضاء المجتمع الدولي هم أشخاص غير متناسقين: الدول الشركات المتعددة الجنسيات، إلخ....

- أساس قيام الجماعة الدولية هو وجود إرادة حقيقية بين أعضائها في الانضمام إلى تنظيم معين يضمن مصالحها، بينما الإرادة داخل المجتمع الدولي مفترضة.

- **مراحل تطور المجتمع الدولي:**

تهدف دراسة التطور التاريخي للمجتمع الدولي دراسة المراحل التاريخية التي مر بها المجتمع الدولي، بحيث تكمن أهمية هذه الدراسة في أن نشأة المجتمع الدولي ترتبط بعدة حضارات، بدءا بالحضارة القديمة التي ساهمة في تكوين وتطوير بعض قواعد القانون الدولي، مرورا بالعصور الوسطى التي كان لها دور كبير في إنشاء كثير من القواعد والمبادئ التي تنظم العلاقات الدولية سواء على مستوى المجتمع الإسلامي أو المجتمع الأوروبي، إلى غاية المجتمع الدولي في العصر الحديث وحتى الآن الذي عرف تحولات كبيرة ترتب عنها تطور هام وعميق للقانون الدولي.

أولا المجتمع الدولي في العصر القديم (من 3100 ق م إلى 476 م):

رغم وجود الحضارات القديمة مثل حضارة بلاد الرافدين، الحضارة الفرعونية، الحضارة الرومانية، حضارة الصين القديمة، الحضارة الهندية، الحضارة اليونانية)، لم يعرف العصر القديم وجود مجتمع دولي بالمعني الحقيقي، وذلك راجع للعلاقات العارضة التي كانت بين تلك الحضارات.

وبالرغم من ذلك لا يمكن إنكار تكوين قواعد دولية ساهمت فيها الحضارات القديمة، وعليه سنتطرق إلى تلك الحضارات على النحو التالي:

- **المجتمع الدولي في حضارة الشرق القديم**

لقد نشأت مند القدم حضارات عديدة في الشرق القديم، حيث نشأت فيما بينها عدة علاقات قانونية تمثلت في إبرام الكثير من المعاهدات تعالج مواضيع مختلفة، وهي كاتالي:

1- حضارة بلاد الرافدين:

امتازت حضارة بلاد الرافدين بإعلان الحروب وعقد الهدنة وكذا إبرام المعاهدات، فقد أبرمت أول معاهدة في القرن 31 ق.م بين زعيمي قبيلتين من منطقة ما بين النهرين وهم إيناتم الحاكم المنتصر لدولة مدينة لاجاش مع ممثلي شعب أوما، حيث نصت على وضع حد للنزاع القائم بينهما حول الحدود، كما نصت على فكرة التحكيم في حالة قيام أي نزاع بينهما.

2- الحضارة الفرعونية:

عرفت الحضارة المصرية القديمة العديد من المعاهدات التي أبرمت مع ملوك وقادة الشعوب المجاورة، والتي لا تقل أهمية عن المعاهدات الحالية، ومن أمثلتها المعاهدة التي أبرمت في عهد "رمسيس الثاني" عام 1279 ق.م والذي أنهى بها عهدا طويلا من النزاعات بين الحيثيين "خاتسار" وتعرف هذه المعاهدة بمعاهدة "قادش"،وقد وصفت بأنها أول معاهدة دولية من نوعها في تاريخ البشرية وهي معاهدة مكتوبة كان الهدف منها إنهاء حالة الحرب بين الدولتين.

حيث تعهد بموجبها الطرفان على:

+ أهمية المبعوثين والرسل والاعتراف بمراكزهم.

+ التأكيد على إقامة علاقات ودية وإشاعة السلام القائم على ضمان حرمة أراضي الدولتين، وتجديد التحالف والدفاع المشترك.

بقيت هذه المعاهدة حتى العصور الوسطى نموذجا متبعا في صياغة المعاهدات لما تضمنته من مقدمات ومتن وختام.

3- حضارة الصين القديمة:

أقامت الصين القديمة هي الأخرى علاقات تبادل مع غيرها من الدول بما فيها روما التي تبعد عنها مسافات شاسعة، فقد عرفت نظام التمثيل الدبلوماسي والمؤتمرات المختلفة،

كما تميزت باحترام قواعد إنسانية متعددة من بينها عدم الهجوم على دولة في حداد على حاكمها أو منقسمة داخليا.

4- الحضارة الهندية:

عرفت الحضارة الهندية مند عام 1000 قبل الميلاد مجموعة من القوانين والتي كانت تسمى ب "قانون مانو"، حيث تضمن هذا الأخير مجموعة من القواعد المتعلقة بقانون الحرب والقانون الدبلوماسي، فقد تضمن قواعد تتعلق بألسنة الحرب أو ما يعرف حاليا بالقانون الدولي الإنساني ومن أهم هذه القواعد:

+ منع تخريب الحقول الفلاحية وقطع الأشجار.

+ منع قتل العدو إذا استسلم أو العدو النائم أو أسير الحرب.

أما فيما يخص القانون الدبلوماسي فقد منع قانون "مانو" المساس بالمبعوث الدبلوماسي، حيث نص على أنه : "من يرفع يده في وجه السفير يتعرض للهلاك والإبادة وذلك لأن السفير مصان من قبل الآلهة".

- **المجتمع الدولي في حضارة الغرب القديم**

طبقت الحضارة الغربية القديمة بعض القوانين التي تهم القانون الدولي، ومن أشهر هذه الحضارات عندنا الحضارة اليونانية والحضارة الرومانية، وهذا ما سوف نتطرق إليه في النقطتين التاليتين:

1- الحضارة الإغريقية (اليونانية):

كان للحضارة اليونانية دور في تكوين قواعد القانون الدولي حيث كانت تتشكل من مجموعة من المدن المستقلة عن بعضها البعض والتي تشكل في مجموعها الدولة اليونانية ومن أهمها مدينة إسبرطة وأثينا، تجمعهم الرابطة الشعورية والمصلحة المشتركة مما جعل هذه المدن تدخل مع المدن الأخرى في إطار العلاقات المتبادلة سواء في زمن السلم أو في

زمن الحرب، ونتيجة لهذه العلاقات نشأت قواعد القانون الدولي المسيرة لتلك العلاقات، ومن بين هذه القواعد القانونية تلك التي تنص على التحكيم في المنازعات، الأحلاف العسكرية، العلاقات الدبلوماسية، تسليم المجرمين والرهائن وحماية الأجانب.

2- الحضارة الرومانية:

أصبح المجتمع الدولي خلال الحضارة الرومانية مكون من شخصية مقدسة منسوبة للدولة الرومانية بحد داتها، بعد أن كانت الدولة اليونانية في السابق مؤسسة دينية أكثر منها مؤسسة سياسية.

كما أنه من خلال تطوير مجموعة القواعد القانونية من طرف الرومان ظهر قانون يسمى ب "قانون الشعوب" لكون الإمبراطورية الرومانية كانت تحتوي مناطق واسعة في البحر الأبيض المتوسط وأوروبا الشمالية والشرقية، وكان يشرف على تطبيق قانون الشعوب رجال الدين المعروفين باسم "الإخوة فتيال" يعتبرون بمثابة سفراء يتمتعون بالحصانة وعددهم 20، ولب هذا القانون أن رجال الدين هم الذين يقررون إن كان هناك سبب عادل لإعلان الحرب ضد بلد أخر، ومن أشهر الذين عالجوا موضوع الحرب في ذالك الوقت القديس "أوغستين" الذي ميز بين الحرب العادلة والحرب غير العادلة في مؤلفه "مدينة الله".

ما يمكن قوله بالنسبة للحضارة الرومانية أن القواعد القانونية المطبقة في تلك الفترة كانت تخص العلاقات بن الرومان ورعايا الشعوب التابعة لها فقط وتضمن لهم الحماية، أما بقية الشعوب التي لا تربطها مع روما معاهدات صداقة أو تحالف فإن مواطنوها وممتلكاتهم لا يحضون بأي حماية.

خلاصة العصر القديم:

وفي الأخير ما يمكن قوله أنه على الرغم من مساهمة الحضارات القديمة عبر التاريخ الإنساني في تكوين بعض قواعد القانون الدولي، إلا أن فكرة تنظيم المجتمع الدولي في وضع قانوني موحد لم تكن معروفة آناذاك.